مقدمة الناشر

عنـدما تشيع «الدراسات المستقبلية» في أوساطنا الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصـادية، فإن هذا يعني ـ بوضـوح ـ أن عملية الإقلاع الحضاري قد بدأت؛ وبدأت بالانحسار معها عملية اجترار الماضي، وحالة العجز عن النهوض بالحاضر وإصلاحه وتقويمه . .

وشيوع هذه الـدراسـات بحد ذاته ـ على تفاوتٍ في مدى عمقها أو التزامها بالمنهج العلمي وجديتها ـ يبعث في نفوس المعنيين بالقضايا العامة للأمة بعض الأمل المبرَّر، في أن الأمة أخذت تتلمس طريقها، بعد أن بدأت تصحو من غيبوبتها التي سيطرت عليها فترة طويلة من الزمن، لتمارس دورها في الشهود الحضاري من جديد . .

ولكن الأمـل سوف يكـون كبيراً عندما تلتزم «الدراسات المستقبلية» بالمنهج العلمي الرصين، الذي يبتعد بها عن أن تكون رجماً بالغيب، أو نوعاً من الأحلام الواهمة «اللامعقولة» و«اللامقبولة»، والتي تشكل ـ في مثل هذه الحال ـ عاملاً من عوامـل الفشـل على صعيد الفـرد كما على صعيد الأمة، بدلاً من أن تكون هذه الدراسات عامل تشوُّف واستشراف وريادة حقيقية، وتكون ـ بالتالي ـ سبباً موضوعياً من أسباب النهوض والإبداع والتقدم والازدهار . .

فإذا كانت دراسة المستقبل ـ بمعنى ما ـ حلماً، فلا بد من أن يتحول هذا الحلمُ إلى علمٍ، وأن يوظَّف هذا العلم في تحقيق الأهداف والمصالح العليا لأمتنا. وما من شك أن كلمة «علم» هنا، لا تعني أن يدخل «المستقبل» في المختبر وتجرى

عليه التجارب، وتستخلص من دراستنا عليه النتائج، لأن هذا من المستحيلات إن كان المقصود إخضاع المستقبل لقواعد العلوم التجريبية التي تخضع لها المادة في المختبرات!

ولكن العلمية هنا، هي علمية المنهج، إذ لا بد أن تتبع الدراسات المستقبلية المنهج العلمي الصارم، الذي يوظف الدراسات العلمية للتاريخ، والقراءة العلمية للواقع الحاضر، والفهم العميق والدقيق لسنن الحياة وقوانينها، في خدمة الأبحاث المستقبلية، التي تتحول بهذا المنهج إلى نوع من العلم، الذي يصلح أن يكون أساساً ثابتاً ومتيناً، لعمليات التخطيط التالية..

فالدراسات المستقبلية العلمية، هي ـ بشكل ما ـ الدراية بالممكنات المرتبطة بمعطيات التاريخ، والواقع الراهن، والسنن والقوانين النفسية والاجتماعية والكونية؛ وههنا النقطة الفاصلة بين دراسة المستقبل والتخطيط الذي تنحصر مهمته برسم الخطط، وإعداد الخرائط، من أجل تحقيق هذه الممكنات التي تتوافق مع الأهداف والمصالح العليا للأمة..

دراسة المستقبل ـ إذاً ـ خطوة سابقة لعملية التخطيط، فهي تشوُّف واستطلاع وريادة؛ والتخطيط خطوة لاحقة، وهو توظيف لنتائج التشوُّف والاستطلاع.. والمستقبلي ـ على هذا المعنى ـ عبقري رائد، والمخطِّط أكاديمي عالِم، وإن كان بين هذين المجالين كثير من التداخل والتشابك في معظم الأحيان..

وهكذا تبرز أهمية دراسة المستقبل ومكانتها بين الدراسات التي تتوخى النهوض بالأمة، والسير بها نحو العزة والكرامة، بما أنها سوف تكون المقدمة أو الأساس لعمليات التخطيط، التي يتوقف على سلامتها وصلاحيتها مستقبلنا كله! لأن ما يقوم أو يُبنى على أساس متين أو مقدمة صحيحة، يأتي صحيحاً ومتيناً إذا جاءت الخطوات اللاحقة وفق موازين الحق والصواب، وما كان أساسه أو مقدمته أوهاماً لا يجني في مستقبله إلا السراب..

وحتى لا نجني السراب، ينبغي أن نقوم بدراسة المستقبل، كما ينبغي أن تتحول هذه الدراسة إلى فرع من فروع العلم بالمعنى الذي حددناه. .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا اليوم، والذي نفخر بتقديمه إلى القارىء بلغة القرآن الكريم، يمثل شارة لامعة من شارات النهوض، وهو خطوة رائدة في مجال الدراسات المستقبلية؛ ليس لأنه يطرق أبواب المستقبل فحسب، وإنما هو ـ بالإضافة إلى ذلك ـ يطرق هذه الأبواب بيد مؤمنة مسلمة، ويتسلّح بما يتيحه له التصور الإسلامي من رؤية شمولية للحياة الإنسانية، ونظرة عميقة للزمن بعناصره الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل، مما يعطي هذا الكتاب أهمية خاصة بين الدراسات المستقبلية التي بدأت في الظهور في المكتبة العربية خلال هذين العقدين الأخيرين، لأنه يقوم على محاولة إعادة الانسجام الطبيعي بين العلم والإيمان، وحقائق الوجود والقرآن، والتوافق بين حكمة الله من الخلق وقوانينه المحكمة وحكمته المتمثلة بآيات القرآن الكريم. .

فاللَّهَ نسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يعيننا على متابعة ما أخذناه على أنفسنا، أن نبذل ما في وسعنا من جد واجتهاد في الطريق إلى ثقافة عربية إسلامية متكاملة، إنه سميع مجيب.

رضوان دعبول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الذي أقسم بالعصر، وخلق الإنسان صاحبَ فكرٍ ورويةٍ مدركاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وأسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله. والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله وخاتمهم محمد بن عبد الله الذي رأى من آيات ربه الكبرى. وأستفتح بالذي هو خير».

أفتتح هذا الكتاب بهذا الاستهلال الذي افتتحت به بحثي عن «الدراسة المستقبلية برؤية إسلامية مؤمنة» حين قدمته في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض في الأسبوع الثاني من شهر أيار ـ مايو ١٩٩١م الموافق أواخر شوال ١٤١١هـ. وقد أعربت في ذلك الافتتاح عن سعادتي باللقاء الذي جمعني بصفوة من المعنيين بالدراسة المستقبلية في رحاب المركز على ثرى الأرض الطيبة التي باركها الله سبحانه بأن جعلها مطلع النور. وشكرت المركز على دعوته الكريمة، وحمدت له اختياره موضوع «الدراسات المستقبلية وواقع العالم الإسلامي» لتناوله في محاضرة جماعية يشارك فيها ثلاثة مختصين، ونوَّهت بريادته فيما اقترحه من نقاط لمعالجتها في المحاضرة وبخاصة تلك التي تتعلق بمنهج هذه الدراسات. فالحق ـ كما قلتُ في الاستهلال ـ «أنه على الرغم من مضي عقدين من السنين على بدءِ الاشتغال بالدراسات المستقبلية بمفهومها الحديث في وطننا العربي، وظهور عدد من الأعمال الجيدة على أيدي روادٍ اعتمدوا مناهج واضحة فيها، إلّا أن شرح هذه المناهج وبلورتها لا يزال يتطلب مزيداً من الجهد نبذله. وكذلك الأمر بالنسبة لانضاج تصورنا الإسلامي لهذه الدراسات». وقد أشرت أخيراً

إلى أن هذا اللقاء «يجيء ونحنّ نعيش فترة دقيقة في أعقاب حرب الخليج تشتد الحاجة فيها إلى الرؤية النافذة للوفاء بمتطلبات المرحلة».

لقد طرحت يومها في بحثي في نطاق الجزء المخصص لي من المحاضرة الجماعية عصارات فكرية حول بعض النقاط المتعلقة بالدراسات المستقبلية من واقع اشتغالي بها على مدى عقدين من السنين، بايجاز شديد. وخطر على بالي في أعقاب فراغي من كتابة البحث أن «بلورة المفاهيم الفكرية» حول ما يعرض لنا في الاجتماع الإنساني هو «عمل» حيوي ومن أهم الأعمال التي يجب أن ينهض بها «أهل الفكر» في الأمم، وهو أيضاً من أصعب الأعمال الفكرية. ولاحظتُ أن عناية طالب العلم بهذا العمل تزداد مع تضلعه في العلوم، وتنمو مع تقدمه في السن ودخوله مرحلة الكهولة. وقد وجدت نفسي في هذه المرحلة مقبلاً على دراسة معاجم المصطلحات. وكم كان فرحي عظيماً حين درست «كشّاف مصطلح الفنون» للتهانوي «والتعريفات» للجرجاني من كتب تراثنا، وتعرفتُ على عدد من المعاجم الحديثة الخاصة بالمصطلحات التي صدرت في عالمنا المعاصر. وسجلت يومها ضمن خواطري «أن هذه البلورة للمفاهيم تقع ضمن التنظير الفكري الذي هو في المرتبة العليا من مراتب العمل الفكري». وذكرتُ أنه طاب لي في أمسية فكرية حظيتُ بها في تلك الفترة في منزلي بمناسبة الاحتفال بكتاب جديد أصدره أحد الأدباء الزملاء، أن أطرح تساؤلاً حول تصنيف هذه المراتب وفق مصطلحات عصرنا فيما يخص «أهل القلم»، فتوافق الحضور على دلالات لكلمات «الكاتب» و«الأديب» و«الصحفي» و«الكاتب الصحفي» و«الباحث» و«العالِم» و«المفكر»، ووقفوا أمام الشروط التي يجب أن تتوافر في كل من يحمل واحدة من هذه الصفات وينعت بواحدة من هذه النعوت ومن يوصف بالعلم والفكر بخاصة.

يضمُّ هذا الكتاب عصارات فكرية في موضوع «الدراسة المستقبلية» وموضوعات أخرى عقيديّة وسياسيّة وتربويّة وصحيّة قاربتها جميعها «برؤية مؤمنة مسلمة» مستقبلية. وإن من حق القارىء الكريم أن أوضح له مفهومي لهذه الرؤية.

«الرؤية» عندي مصطلح يقع في نطاق «الدراسة المستقبلية»، وقد شرحته في مقدمة كتابي «رؤى مستقبلية عربية» وفي الباب الأخير من كتابي «وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية. . » وفي بحث دراسة المستقبل من هذا الكتاب. وهو يعني بايجاز شديد «إدراك بحاسةٍ وتخيّل وتفكّر وعقل»، كما يدل على آخر خطوة في الدراسة المستقبلية بعد خطوتي الاستشراف والتشوّف. والرؤية المؤمنة هي التي تنطلق من الإيمان بالله سبحانه وتعالى. فهذا الإيمان يحكم منهج النظر والبحث والدراسة، ويأخذ مكانه فيما قبل المنهج بما يعنيه من تصديق بما جاء به الوحي. فالرؤية تكون مؤمنة على صعيد الاعتقاد، مُصدِقةً تبطن من التصديق مثلَ ما تُظهر. والرؤية المؤمنة تكون مسلمةً على صعيد العمل الذي يجسِّد القبول والخضوع والانقياد لما أمر به الله سبحانه وتعالى. والإيمان هو «إذعان النفس للحق على سبيل التصديق. وذلك باجتماع ثلاثة أشياءٍ: تحقيق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**﴾ ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول المصدق والعمل الصالح إيمان»، كما يقول الراغب الأصبهاني، فالإيمان هو التصديق الذي معه أمن. وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف. والإسلام في اللسان العربي هو الدخول في السلم الذي هو اسمٌ بإزاء الحرب، وهو يكون في الشرع على ضربين «أحدهما دون الإيمان: وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أم لم يحصل. وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿**قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾. والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدّر. كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾». وهذا الضرب الثاني هو الذي أردناه في وصفنا للرؤية بأنها مسلمة بعد وصفها بأنها مؤمنة.

لقد قاربت بهذه «الرؤية المؤمنة المسلمة» موضوع «العروبة والإسلام» وقضايا المستقبل في ندوة «الحوار القومي ـ الديني» التي انعقدت بالقاهرة بين ٢٥ و ٢٧

أيلول ـ سبتمبر عام ١٩٨٩ بدعوة من مركز دراسات الوحدة العربية؛ وموضوع «مفهوم المجموعات الإقليمية» في ندوة أكاديمية المملكة المغربية التي انعقدت بمدريد بين ١٢ و ١٤ كانون أول ديسمبر عام ١٩٨٩ حول «التجمعات الإقليمية»؛ وموضوع «التضامن الإسلامي وإمكانية قيام نظام إقليمي في العالم الإسلامي» في ندوة «العالم الإسلامي والمستقبل» التي انعقدت بالقاهرة بين ١٣ و ١٧ تشرين أول ـ اكتوبر عام ١٩٩١ بدعوة من مركز دراسات العالم الإسلامي ومركز الدراسات السياسية.

بهذه «الرؤية المؤمنة المسلمة» قاربتُ أيضاً موضوع «التعليم الجامعي» في ندوة حول «التعليم الديني في الجامعات» نظمتها مؤسسة آل البيت ومجلس الحوار بين الأديان بالفاتيكان وانعقدت بروما بين ٦ و ٨ كانون أول ـ ديسمبر عام ١٩٨٩؛ وموضوع «الحضارة البشرية» في تعليقي على المقرر الذي وضعتْه جامعة القدس المفتوحة وأرسلتُه كتابة في ١٩ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٩؛ وموضوع «سياسة الصحة» في ما كتبته من وحي مشاركتي في ندوة « أنماط الحياة الإسلامية ودورها في التنمية الصحية وتنمية الإنسان بوجه عام» التي انعقدت بعمّان بين ٢٢ و ٢٦ حزيران ـ يونيو عام ١٩٨٩، وفي الندوة الفقهية الخامسة من سلسلة ندوات «الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة» التي انعقدت بدعوة من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجمع الفقه الإسلامي في الكويت في مطلع عام ١٩٩٠؛ وموضوع «المشاركة السياسية» فيما كتبته من وحي مشاركتي في ندوة «التعددية السياسية في الوطن العربي التي نظمها منتدى الفكر العربي وانعقدت في عمّان بين ٢٦ و ٢٨ آذار ـ مارس عام ١٩٨٩.

واضح أن هذه الموضوعات هي موضوعات معاصرة طرحت علينا ونحن نواجه في عالمنا تحديات على صعيد الفكر ونستجيب لها. وواضح أيضاً أن مقاربتنا لها بهذه الرؤية المؤمنة المسلمة تمثل الاستجابة الفاعلة وسط صراع فكري محتدم بفعل احتكاك الحضارات يشهد في الوقت نفسه رد فعل انكماشي ورد فعل

انغماسي. وهذا يعني أن الفكر العربي الإسلامي يتابع القيام بالدور الذي نهض به منذ أن تعرضت أمتنا للغزوة الاستعمارية الغربية.

لقد دأب هذا الفكر الذي ينطلق من «الإسلام» في الدائرة العربية معبراً عن نفسه باللسان العربي، على التصدي للمقاربة الغربية لموضوعات العصر برؤية مادية ملحدة، فقارب هذه الموضوعات برؤية مؤمنة مسلمة. وقاوم كأقوى ما تكون المقاومة عملية التسلط الفكري التي قام بها الطرف الغربي بعد أن تحكَّم بقوة السلاح الغاشمة. ويستطيع مؤرخ الأفكار وهو يتتبع قيام الفكر العربي الإسلامي بدوره هذا أن يلاحظ تنوّع الموضوعات التي عالجها وتطورها مرحلة إثر مرحلة وصولاً لهذه المرحلة التي تشهد عنايته بمعالجة موضوعات معاصرة يقاربها برؤية مؤمنة مسلمة.

يتداعى إلى خاطري عند ذكر هذه المراحل كيف بدأ جيلي يتعرف وهو في سنّ الحداثة على هذا الفكر العربي الإسلامي في خضم إقباله على النهل من معين المعرفة، بعد أن تفتح وعيه بفعل النكبة التي حاقت بأمته عام ١٩٤٨ في فلسطين. وأذكر كيف استوقفتني الرؤية العربية الإسلامية بينما كنتُ أناقش مع أقراني وبيني وبين نفسي ما يأتينا من الغرب من أفكار ومذاهب تفعل فعلها في مختلف جوانب حياتنا. كما أذكر كيف استطاعت هذه الرؤية أن تجعل تفاعلي مع الأفكار ينأى عن رد الفعل بنوعيه الانغماسي والانكماشي ويتجه إلى الاستجابة الفاعلة.

اذكر أيضاً كيف تعرفت على ما صدر من كتابات عن هذا الفكر العربي الإسلامي منذ بدأ الصراع الفكري مع الغرب إثر غزوته الاستعمارية في القرن الماضي، وكيف تابعت بخاصة ما صدر في عصرنا أثناء تجوالي في عالم الأفكار. وقد طاب لي أن ألاحظ كدارس للتاريخ تطور هذه الكتابات من حيثُ الموضوعُ الذي تُركِّز عليه في كل مرحلة والمجال الذي تتحرك فيه، وعلاقة هذا التطور بما يدور في دائرتنا الحضارية والعالم من حولنا. وكم يسعدني اليوم أن أجد محاولات

صادقة جادة يقوم بها هذا الفكر العربي الإسلامي في ريادة جميع حقول المعرفة وكل العلوم برؤية مؤمنة مسلمة، وذلك بعد أن ركّز في مراحل سابقة على «الردّ» على الفكـر الغـازي، وتفنيد «شُبهات» أثارها هذا الفكر الغازي حول «علمية» الرؤية المؤمنة المسلمة، و«الدعوة» إلى التمسك بهذه الرؤية، وإرساء «أساس عقيدي» من خلالهـا يواجـه «أيديولـوجيات» ـ عقائد ـ ظهرت في دائرة الغرب الحضارية، والاشتغال «بالفكر السياسي» و«الفكر الاقتصادي» ومعالجة عددٍ من قضايا العصر برؤية مؤمنة مسلمة.

تصل بي خواطري وهي تتداعى إلى ما كتبته منذ أن انتظمتُ في الكتابة قبل ثلث قرن، فأستحضره، وأجد أنني بعد أن تمثّلتُ ما قرأته أثناء فترة التلقّي اطمأننتُ إلى هذه الرؤية المؤمنة المسلمة واخترت أن أُقارب بها الموضوعات التي اكتب فيها سواء أكانت في حقل التاريخ أو في السياسة أو في علم السياسة والفكر السياسي أو في التـربية أو في الأدب. وأجد أنني كنتُ كلما توغلت في عالم الأفكار كلما ازددتُ اطمئنـاناً إليها وازدادتْ هي صفاءً وعمقاً واتساعاً. وأجد أخيراً أنني أوليت الدراسة المستقبلية عناية خاصة منذ عقدين من السنين، فحاضرتُ عنها وألّفْتُ، ونصب عيني أن أُسهم من موقع انتمائي لحضارتنا العربية الإسلامية في ريادة حقل معرفي تزداد العناية به في عالمنا ومقاربته برؤية مؤمنة مسلمة.

أسأل الله جلّ وعلا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأرجو أن يجد القـارىء الكـريم، والمعنيّ بدراسـة المستقبل بخاصة، في هذا الكتاب ما يفيد ويمتع، وأشكر لمؤسسة الرسالة (دار البشير) عنايتها بنشره. والله ولي التوفيق.

أحمد صدقي الدجاني

مصر الجديدة جمادى الأول ١٤١٢، تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩١